

www.kotobarabia.com

العودة إلى القرآن



www.kotobarabia.com

جمال البناء

عن قواعدهم؛ حاولوا بكل الطرق تأويل ذلك بما يتفق مع قواعدهم، فلما جوبهوا بما لا يقبل التطويع، سقط فناء المفسر وظهر وجه النحوي، فقالوا "لحن القرآن!!"، وظهر بذلك أنهم أساساً لغويون لا يجدون حرجاً في أن يرموا القرآن بـ. اللحن عندما يخالف قواعدهم المقدسة!.

دخل الحلبة رجال الآثار، والذين عذروا بتقصد بيل ما أجمله القرآن، وتعريف ما نكره، ولم يكن لهم بد أن يتلمسوا بذلك في الكتب القديمة التي عالجت ما أشارة إلى أنه القرآن بصورة أكثر تفصيلاً، وأبرزها التوراة، وما كتبه أحبار اليهود. وسواء كانوا هم أساساً رجال آثار، ورثوا هذه الآثار من آبائهم أو بحكم نشأتهم في بيئه غير إسلامية قبل إسلامهم.. وأنهم تلمسوا الآثار عندما جوبهوا بالقضية؛ فإن النتيجة واحدة لأن النصوص كانت واحدة، حتى وإن حدث تأخير أو تقديم.. إيجاز أو أسباب. وهذه الآثار التي نقلها فريق من المفسرين، وحشوها بها كتبهم؛ هي ما أطلق عليه "الإسرائيليات"، وفات هؤلاء أن الله تعالى تعمد التكير وعدم تحديد الأسماء والأزمان لحكمة التحريـف والتزيـيف، وأن كثيراً منها ليس مما أذـزل الله، ولكن وضـعه الأـحدـار

والكهان.. ففسروا القرآن بأقاويل أكد الق. رآن نفس. ه أنه .ا
منحولة، ومن وضع الذين يحرفون كـ. لام الله بـأـيـ. دـيـهـمـ، ثـ. مـ
يقولون هذا من عند الله، فـكـأـنـهـمـ فـسـرـوـاـ الـقـرـآنـ..ـ بـمـاـ تـبـرـأـ مـنـهـ
الـقـرـآنـ !!

ولم يخلص رجال الحديث من المأزق التي تحكمت في المجموعتين السابقتين؛ فقد دخلوا وعمادهم ورأسمالهم الثمين هو "الإسناد"، وفي سبيل هذا الإسناد شوهدوا تشنّه. وبها بالغًا كثيرة من الآيات، خاصة عند إيراد أسد. باب الذ. زول، وقد كشف حقيقتهم موقفهم من قضية الغرانيق، فعد. دماك. انوا بقصد ذكر سبب نزول الآية ٥٢ من الحج «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبِي إِلَّا تَمَنَّى لِقَاءَ اللَّهِ يَطَّافُ فِي أَمْنِيَّةٍ فَيَنْسِخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحِكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»؛ زعموا أن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ بعد تلاوته «أَفَرَأَيْتُمُ الْلَّآتِي وَالْعَزَّى. وَمَنَّاهَا التَّالِثَةُ الْأَخْرَى» تلك الغرانيق العلا... وإن شفاعتهن لترتجى". ومع الجهنم للروايات التي نقلت هذا الزعم الأثير؛ توضح هيمنة الإسناد، وأنهم كإخوانهم اللغويين ونقلة الآثار، يفرضون بضم. اعتهم المزاجة على الذكر الحكيم، فمع أن الروايات التي رویت

كلها ضعيفة أو منقطعة سوى روایة لسعید بن جبیر، فقد قال
الحافظ بن حجر:

"...ولكن بکثرة الروايات تدل على أن للقصة أصلًا،
على أن لها طریقين صحيحین، أخرجهما ابن جریه. ر؛
أحدھما من طریق الزھری عن أبي بکر بن عبد الرحمن
بن الحارث بن هشام، والآخر عن طریق هذد ع. ن. أب. ی
العالیة، ولا عبرة بقول ابن العربی وعیاض أن هذه الروايات
باطلة لا أصل لها".

والغیر أن يقول الحافظ بن حجر إن کثرة الطرق
تدل على أن للقصة أصلًا، وهو یعلم حق العلام أن رجاء
الحدیث یتناقلون الواقعۃ من عشرین طریقًا، فکثرة الطرق
لا تعززها، فضلًا عن أن أي إسناد مزعوم، مهمًا کاد. ت
صحته في المعايير التي وضعها المحدثون؛ مرفوض عندما
یحمس کمال أداء النبي ﷺ لرسالته..

هذه الأمثلة كلها تظهر أن معظم المفسرين لم یدخلوا
مأدبة القرآن كضیف، یعرف قداسة ما سیقدم إليه، ویعت رف
بالحكمة في أن يكون الساخن ساخناً.. والبارد بارداً.. وأن
يكون فيها الحلو المسکر.. والمر المتبل.. وإنما دخلوه..

"على علم"، راغبين في طعام واحد.. وفارضين هذا الطعـ.ـام على مأدبة القرآن المتنوعة المتعددة، التي أعدها الله تعالى لكل العصور وكل الشعوب؛ مما أعطى القرآن طعماً غير طعمه ومذاقاً غير مذاقه.

وقد كثف هذه الحقيقة، وأعطاهـ.ـا مسـ.ـحة تقليديـ.ـة أن القسـ.ـير الذي وضع منذ سـ.ـبعة أو ثـ.ـمانية قـ.ـرون؛ هـ.ـو المـ.ـنهـ.ـج المـ.ـقرـ.ـر والمـ.ـعـ.ـتمـ.ـد، وفرض نفسه على العـ.ـصـ.ـر والأـ.ـجيـ.ـال بحيث طـ.ـبعـ.ـت التـ.ـفـ.ـاسـ.ـير الـ.ـقـ.ـديـ.ـمة مراراً وتـ.ـكرـ.ـاراً، وأـ.ـصـ.ـدـ.ـبح أي اـ.ـتجـ.ـاه جـ.ـديـ.ـد في التـ.ـفـ.ـاسـ.ـير، يـ.ـقاـ.ـوم ويـ.ـحـ.ـارـ.ـب وـ.ـتـ.ـنـ.ـظـ.ـن بـهــ الـ.ـظـ.ـنـ.ـون..

إيثار السنة على القرآن:

من المعـ.ـروـ.ـف أن القرآن يـ.ـضع الأـ.ـسـ.ـاسـ.ـيـ.ـات، وـ.ـيرـ.ـسـ.ـدـ.ـيـ.ـ الخطـ.ـوطـ.ـالـ.ـعـ.ـريـ.ـضـ.ـةـ.ـ لــلــأــحــكــامـ.ـ، وــأــنــ الســنــةـ.ـ هــيــ التــيــ تــضــعــ التــفــاصــيــلــ والــجــزــئــيــاتــ، وــهــيــ التــيــ تــشــرــحــ الغــامــضــ، وــتــحــ دــدــ المــجــمــلــ؛ فــقــدــ تكونــ الصــلــاــةــ فــيــ القــرــآنــ دــعــاءــ، أوــ رــكــوــءــاــ وــســجــودــاــ، وــقــدــ يــكــونــ الصــيــامــ صــيــاماــ عــنــ الطــعــامــ وــعــنــ الــكــلــامــ.ــ وــقــدــ تــذــكــرــ الصــلــاــةــ فــلــاــ يــحــدــدــ وــقــتــهــ وــعــدــدــهــاــ وــطــرــيــقــ أــدــائــهــاــ..ــ فــتــأــتــيــ الســنــةــ، وــتــوــضــحــ لــنــاــ الــمــقــصــودــ بــالــصــلــاــةــ وــالــصــيــامــ وــالــحــجــ،ــ وــعــدــ الــصــلــوــاتــ، وــوــقــتــهــاــ وــطــرــيــقــ أــدــائــهــاــ..ــ إــلــخــ.

لها لم يكن أئمّة لتتعرّف على مقصود القراءة. وأن
وتفاصيل ما أجمله. إلا السنة؛ وهو المسند إلى الطبيعة. ي
والمنتظر؛ ولها يفضل أي مسلك آخر، كالالتجاء إلى كتب.
قديمة، أو استئهام شرع من قبلنا، أو غيره. ذلك.. ولكن
ما يؤخذ على الأئمّة أولاً؛ أنهم في تكييفهم لمكان السنة من
القرآن، كثيراً ما أخطأهم التوفيق في وضعيتها موضعاً لها
الدقيق.. إذ آثروها في كثير من الحالات على القرآن.. وثانياً
أن الضوابط التي وضعوها لضمان وصول السنة صحيحة
وثابتة، وأفونوا فيها أعماراً بعد أعمار، وأبدعوا فنوناً ممن
الضمادات والأساليب، لم تكن بعد هذا كلّه من الإحکام بحيث
تسد المنافذ المتعددة التي حدثت لتأخر تدوين السنة لمدة قرن،
بعد وفاة النبي ﷺ؛ بحيث اتسع الخرق على الرائق.

نتيجة للقصور في هذين، ابتعد الفقه الإسلامي في كثير من الموارد عن الخط الرئيسي للقرآن، والروح العامة التي يصدر عنها أحکامه؛ فقد اعتقد البعض أن السنة Δ . القرآن سواء بسواء، على أساس أنها وحي، ومحتاج. بين الآية: «وما ينطقُ عنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» متج. أهلين أن الآية لا تعني أن السنة وحي قدر ما تزعم. أن القرآن

وحي، وأن الرسول لا ينطق به عن هـ. وي، أو مـ. ن تلقـ. اء نفسه، وإنما هو وحي يوحى كما يتطلب ذلك سياق السـ. ورة. كما أن الأحاديث التي أوردوها لا تنهض دليلاً علـ. ى هـ. ذه الدعوى، فضلاً عن أن الأحاديث التي تعطي معنى مخالفـ. ا أكثر منها..

وذهب آخرون إلى أن الكتاب أحوج إلى السـ. نـ. مـ. نـ السنـة إلى الكتاب، وأن السنـة قاضـية على الكتاب، تخصص عامـه، وتـقيـد مـطـلقـه، وـتـخرـجـه عن ظـاهـرـه، ومن قـبـلـ أـبـ اـحـواـنـ أن تـتـسـخـ السنـةـ القرآنـ؛ فـهـذـهـ الأـقوـالـ كـلـهـاـ توـضـحـ أنـ فـرـيقـ.ـ اـنـ الـأـمـةـ - وـبـوـجـهـ خـاصـ منـ الـمـحـدـثـينـ - قـدـ دـمـواـ السـ. نـةـ عـلـىـ الـكـتـابـ.. وـجـعـلـوـهـاـ حـاكـمـةـ أوـ قـاضـيةـ عـلـىـ الـكـتـابـ..

ولا يقل عن ذلك أهمـيـةـ الآـثـارـ التـ.ـيـ حـدـثـتـ نـتـيـجـ.ـةـ لـقـصـورـ الضـوـابـطـ التـيـ وـضـعـهـاـ الـمـحـدـثـونـ،ـ وـالـتـيـ لـمـ تـنـجـ رـغـمـ كـلـ ماـ بـذـلـ فـيـهـ؛ـ فـيـ سـدـ ماـ ظـهـرـ مـنـ ثـغـرـاتـ،ـ فـقـدـ مـ.ـ نـحـ الـمـحـدـثـونـ الـصـحـابـةـ حـصـانـةـ إـلـهـيـةـ مـنـ أـيـ نـقـدـ أـوـ لـمـسـ،ـ عـلـ.ـىـ أـسـاسـ أـنـهـمـ جـمـيـعـاـ عـدـوـلـ،ـ بـمـقـضـىـ نـصـ الـآـيـةـ:ـ «ـمـحـمـدـ رـسـوـلـ اللهـ وـالـدـيـنـ مـعـهـ أـشـدـاءـ عـلـىـ الـكـفـارـ رـحـمـاءـ بـيـنـهـمـ تـرـاـهـمـ رـكـعاـ سـجـداـ يـبـتـغـونـ فـضـلـاـ مـنـ اللهـ وـرـضـوـانـاـ سـيـماـهـمـ فـيـ وـجـوهـهـمـ

من أثر السجود ذلك مثلهم في التّوراة ومثلهم في الإنجيـلـ
مـَزـَرـعـ أـخـرـجـ شـطـاهـ فـازـرـهـ فـاسـتـغـلـظـ فـاستـوـىـ عـلـىـ سـ.ـ وـقـهـ
يـعـجـ الزـرـاعـ لـيـغـيـظـ بـهـ الـكـفـارـ وـعـدـ اللهـ الـذـينـ آمـنـواـ وـعـمـلـواـ
الـصـالـحـاتـ مـنـهـمـ مـغـفـرـةـ وـأـجـراـ عـظـيـماـ).ـ وـالـصـاحـابـةـ لـديـهـمـ هـمـ
كـلـ مـنـ شـاهـدـواـ النـبـيـ..ـ وـوـاـضـحـ بـالـطـبـعـ أـنـ الـآـيـةـ تـ.ـ تـكـلمـ عـ.ـ نـ.
"الـصـاحـابـةـ"ـ فـيـ جـمـلـتـهـ،ـ وـلـيـسـ عـنـ كـلـ وـاـحـدـ مـنـهـمـ،ـ وـقـدـ خـتـمـتـ
الـآـيـةـ..ـ ﴿..ـ وـعـدـ اللهـ الـذـينـ آمـنـواـ وـعـمـلـواـ الـصـالـحـاتـ مـ.ـ نـهـمـ
مـغـفـرـةـ وـأـجـراـ عـظـيـماـ...﴾ـ كـمـاـ أـنـ كـلـمـةـ "الـصـاحـابـةـ"ـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ
تـطـلـقـ عـلـىـ كـلـ مـنـ شـاهـدـ النـبـيـ.

وـنـتـيـجـةـ لـهـذـهـ الـحـصـانـةـ إـلـاهـيـةـ فـيـمـ.ـ اـزـعـمـ.ـ وـاـ،ـ فـ.ـ إـنـهـمـ
رـفـضـواـ بـشـدـةـ كـلـ ماـ وـجـهـ إـلـىـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ مـنـ نـقـدـ،ـ وـحـ.ـ اـولـواـ
تـأـوـيـلـ تـوـبـيـخـ عـمـرـ لـهـ،ـ وـمـاـ قـالـهـ عـلـيـ وـالـزـبـيرـ وـعـائـشـةـ عـنـهـ،ـ بـلـ
الـأـغـرـبـ أـنـهـمـ تـطـوـعـواـ بـالـدـافـعـ عـنـ بـعـ.ـ بـ الـأـجـبـ.ـ اـرـ وـوـهـ.ـ بـ
بـنـ مـنـبـهـ،ـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ الـذـينـ تـكـتـفـ الشـبـهـاتـ إـسـلـامـهـمـ،ـ فـضـلـاـ
عـنـ أـحـادـيـثـهـمـ.ـ وـاعـتـبـرـواـ الـمـرـسـلـ مـنـ أـحـادـيـثـ الـصـاحـابـةـ حـجـةـ
يـدـخـلـ فـيـ الصـحـيـحـ،ـ "وـفـيـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ مـنـ هـ.ـ ذـاـ
مـاـ لـاـ يـحـصـىـ"،ـ وـأـدـخـلـوـاـ فـيـ هـذـاـ أـحـادـيـثـ "أـحـادـيـثـ الصـدـحـابـةـ حـابـةـ"ـ؛ـ
مـثـلـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ،ـ وـابـنـ عـبـ.ـ اـسـ،ـ وـأـبـ.ـ وـسـ.ـ عـيـدـ الـخـ.ـ درـيـ،ـ

وعبد الله بن الزبير .. ومعظمهم كان ما بين التاسعة والعشرة عند وفاة الرسول .. وعمر بعضهم بعده ٨٣ عاما (مثل أنس بن مالك)، واستبعدوا احتمال عدم استيعاب هذه المجموعـة للأحاديث لصغر سنها، أو لطرق النسيان إليها لبعـد العـهـد بالرسول، وبعد انتهاء خمسين، أو ثمانين عاما على وفاته، بل لقد ذهب بعضـهم إلى أن "ذهبـ المـحدثـينـ أنـ سـمـاعـ اـبـنـ خـمـسـ سـنـينـ صـحـيـحـ.."؛ مما يوضح أنـ أـحـكـامـهـمـ فيـ هـذـاـ كـلـهـ هيـ أـحـكـامـ الـمحـبـيـنـ، وـأـنـ عـيـونـهـمـ هيـ عـيـونـ الرـضـدـاـ.. التـ.ـيـ هيـ عـنـ كـلـ عـيـبـ كـلـيلـةـ..

وفيـ كـثـيرـ منـ الـحـالـاتـ دـفـعـهـمـ الـحرـصـ عـلـىـ مـنـزـلـةـ الـرواـةـ درـجـةـ الـحـيـفـ عـلـىـ الـحـقـيقـةـ، فـحـكـمـواـ بـعـدـالـةـ مـنـ قـالـ جـمـهـورـ الـمـحدثـينـ بـعـدـالـتـهـ، "وـإـنـ ظـهـرـ لـمـنـ بـعـدـهـ مـنـ أـسـبـابـ الـجـرـحـ مـاـ لـمـ يـظـهـرـ لـهـمـ"؟

فـأـيـنـ هـذـاـ مـنـ تـحرـزـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ وـعـلـيـ، وـحـرـصـ.ـهـمـ عـلـىـ الـحـقـيقـةـ دونـ نـظـرـ إـلـىـ الـراـوـيـ؛ فـقـدـ رـدـ أـبـوـ بـكـرـ خـبـرـ المـغـيـرـةـ فـيـ مـيرـاثـ الـجـدـ، حـتـىـ أـخـبـرـهـ مـعـهـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمةـ، وـرـدـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـرـ خـبـرـ عـثـمـانـ فـيـمـاـ رـوـاهـ مـنـ اـسـ.ـتـذـانـهـ رـسـولـ اللهـ فـيـ رـدـ الـحـكـمـ بـنـ أـبـيـ الـعـاصـ، وـطـالـبـاهـ بـمـنـ يـشـ.ـهـدـ

معه بذلك، ورد عمر خبـر أبـي موسـى الأـشـعـرى فـي الاستئذان، حتى شهد له أبو سعيد الخدري، ورد على خـبرـ أبي سنـانـ الأـشـجـعـىـ في قـصـةـ بـرـوـعـ بـنـتـ وـاـشـقـ، وـقـدـ أـظـهـرـ معـهـ أـنـهـ كـانـ يـحـلـفـ عـلـىـ الـحـدـيـثـ.

وعندما كان الشيخ محمود شلتوت رحمـهـ اللهـ بـصـ دـدـ الكلـامـ عـلـىـ أـحـادـيـثـ الـآـحـادـ؛ قالـ تـحـتـ عنـوانـ "الـإـسـرـافـ فـيـ وـصـفـ الـأـحـادـيـثـ بـالـتـوـاتـرـ وـأـسـبـابـهـ":

"ويجدر بـناـ بـعـدـ هـذـاـ أـنـ نـعـرـضـ لـظـاهـرـةـ غـرـيـبـةـ شـ.ـ اـعـتـ فيـ النـاسـ، وـأـنـ الـحـقـ لـيـقـاضـىـ فـيـهـ مـاـ وـاجـبـهـ مـنـ الـعـلـمـ.ـ اـءـ وـالـمـسـئـولـيـنـ أـمـامـ اللهـ وـأـمـامـ الرـسـوـلـ؛ـ تـلـكـ الـظـاهـرـةـ هـيـ أـنـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ هـذـاـ التـحـفـظـ الشـدـيدـ فـيـ الـحـكـمـ لـحـدـيـثـ مـاـ دـوـنـ فـيـ الـكـتـبـ بـالـتـوـاتـرـ،ـ نـرـىـ بـعـضـ الـمـؤـلـفـيـنـ قـدـ دـيـمـاـ وـهـ دـيـثـاـ يـسـرـفـونـ فـيـ وـصـفـ الـأـحـادـيـثـ بـالـتـوـاتـرـ،ـ وـقـدـ يـقـصـدـ دـوـنـ فـيـخـلـعـونـ عـلـيـهـاـ أـوـصـافـاـ أـخـرـىـ كـالـشـهـرـةـ وـالـاستـفـاضـةـ،ـ وـالـذـيـوـعـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ الـعـلـمـاءـ،ـ وـتـلـقـيـ الـأـمـمـ إـيـاـهـاـ بـالـقـبـولـ وـالـثـبـوتـ فـيـ كـتـبـ التـقـدـيرـ وـشـرـحـ الـحـدـيـثـ،ـ أـوـ فـيـ كـتـبـ الـتـارـيخـ وـالـمـنـاقـبـ...ـ إـلـخـ..ـ وـقـدـ يـشـتـطـ أـنـاسـ فـيـ سـلـوكـ هـذـهـ السـبـيلـ،ـ فـرـاـهمـ يـتـبـعـونـ مـعـ هـذـاـ أـسـمـاءـ الصـحـابـةـ وـالـتـابـعـينـ وـالـأـمـمـ.ـةـ،ـ

والمؤلفين الذين جرى ذكرهم على السنة النقلة فـ. ي روایة حديث، وهم يعلمون أنها روایات ضعيفة لا تُصْبِر على النقد، وأن هذه الأسماء التي يحرصون على جمعها توجد في كـ. لـ. حديث، حتى الأحاديث الموضوعة، ولكنهم مع ذلك يجمعونها ويجهدون في عدّها وإحصائها، وذكر الكتب التي اشـ. تملـتـ. عليها؛ لأنـمـ يـ. يريدـونـ أنـ يـخـطـفـواـ أـبـصـارـ العـامـةـ، وـيـسـ تـغـلـواـ عـاطـفـتـهـمـ الـديـنـيـةـ...ـ إـلـخـ..ـ (١٥)

وقد لمس الشيخ إحدى ظاهرتين يتسم بهما بصفة عامة المحدثون؛ وهي التهافت عـ. لـ. التـ. دـ. يـثـ، والـفـ. خـ. رـ. بـ. عـ. دـ. الأـحادـيـثـ الـتيـ يـروـيـهاـ كـلـ مـنـهـمـ، وإنـ كانـ الإـنـصـافـ يـقـضـيـنـاـ أنـ هـذـهـ النـزـعـةـ قـدـ قـوـبـلـتـ بـعـمـلـيـةـ تـصـفـيـةـ وـغـرـبـلـةـ منـ كـبارـ أـئـمـةـ المـحـدـثـيـنـ.ـ أماـ الـظـاهـرـةـ الثـانـيـةـ الـتـيـ لمـ يـشـرـ إـلـيـهـ؛ـ فـهـيـ غـلـبـةـ الـعـقـلـيـةـ النـقـلـيـةـ؛ـ لأنـ عـلـمـهـمـ أـسـاسـاـ هوـ رـوـاـيـةـ وـنـقـلـ،ـ وـلـ. يـسـ (أـوـ أـكـثـرـ مـاـ هـوـ)ـ النـقـدـ أـوـ التـمـيـصـ،ـ وـإـدـراكـ كـثـيرـ مـنـ الـكـتـابـ السـابـقـيـنـ،ـ وـمـنـ الـمـحـدـثـيـنـ أـنـفـسـهـمـ كـذـلـكـ،ـ فـرـمـواـ الرـوـاـةـ بـأـنـهـمـ مـنـ حـمـلـةـ الـمـحـابـرـ أـوـ أـرـبـابـ الـمـحـابـرـ،ـ وـقـالـ الـخـطـيـبـ الـبـغـادـيـ فـيـ الفـقـيـهـ وـالـمـنـفـقـهـ:

(١٥) الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ محمود شلتوت، ص ٦٠.

"وأكثـر كتبـة الحديث فـي هـذا الزـمان بـعيد مـن حـفـظ .هـ،
خـالـ من مـعـرفـة فـقـهـهـ، لا يـفـرقـونـ بـينـ مـعـدـلـ لـ وـصـدـ حـيـحـ،
وـلا يـمـيـزـونـ بـيـنـ مـعـدـلـ منـ روـاـةـ وـمـجـرـوحـ، لا يـسـأـلـونـ عـنـ
لـفـظـ أـشـكـلـ عـلـيـهـمـ رـسـمـهـ، وـلا يـبـحـثـونـ عـنـ مـعـنـىـ خـفـيـ عـ.ـنـهـمـ
عـلـمـهـ، مـعـ أـنـهـمـ قـدـ أـذـهـبـواـ فـيـ كـتـبـهـ أـعـمـارـهـمـ، وـبـعـدـ دـتـ فـ.ـيـ
الـرـحـلـةـ لـسـمـاعـهـ أـسـفـارـهـمـ...ـ إـلـخـ.ـ وـفـيـ "ـزـغـلـ الـعـلـمـ"ـ لـلـذـهـبـيـ:
"ـأـمـاـ المـحـدـثـونـ فـغـالـبـهـمـ لـاـ يـفـهـمـونـ، وـلـاـ هـمـةـ لـهـمـ فـيـ مـعـرـفـةـ.
الـحـدـيـثـ، وـلـاـ فـيـ التـدـيـنـ بـهـ؛ـ بـلـ الصـحـيـحـ وـالـمـوـضـوـعـ عـنـ دـهـمـ
بـنـسـبـةـ، وـإـنـمـاـ هـمـمـ فـيـ السـمـاعـ عـلـىـ جـهـلـةـ الشـيـوخـ، وـتـكـثـيرـ
الـعـدـ مـنـ الـأـجـزـاءـ وـالـرـوـاـيـةـ؛ـ فـأـيـ شـيـءـ يـنـفـعـ السـمـاعـ عـلـىـ
جـهـلـةـ الـمـشـيخـةـ، الـذـيـنـ يـنـامـونـ وـالـصـيـباـنـ يـلـعـبـونـ، وـالـشـ.ـبـيـةـ
يـتـحـدـثـونـ وـيـمـزـحـونـ، وـكـثـيـرـ مـ.ـنـهـمـ يـنـعـسـ.ـ وـنـيـدـ.ـابـرـونـ،
وـالـقـارـئـ يـصـحـفـ...ـ إـلـخـ..ـ

وـنـحـنـ لـمـ نـسـتـشـهـدـ إـلـاـ بـقـلـيلـ مـاـ جـاءـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ؛ـ
لـأـنـاـ أـنـفـسـنـاـ مـنـ الـذـيـنـ يـعـتـزـزـونـ بـأـنـ لـهـمـ بـالـحـدـيـثـ نـسـبـاـ، وـلـكـنـ
الـحـقـيـقـةـ أـولـىـ مـنـ أـيـ نـسـبـ..ـ وـمـعـ أـنـ هـذـهـ الصـ.ـورـةـ الـتـ.ـيـ
تـصـورـ حـالـةـ بـعـضـ الـمـحـدـثـينـ فـيـ إـحـدـىـ فـتـرـاتـ الصـ.ـفـ.ـعـ
وـالـتـحلـلـ الـتـيـ اـنـتـابـتـ الـمـجـتمـعـ الـإـسـلـامـيـ قدـ اـنـتـفـتـ الـآنـ بـفـضـلـ

طبع الصاح و الموسوعات، وإمكان المقارنة والنقد، وغير ذلك من الأساليب؛ فإن هذه النزعة النقلية قد خلقـت أثـرـا عميقـاً في الفكر الإسلامي، وربما طبعـتـهـ بـطـابـعـهـ اـمـدىـ الكـثـيرـينـ.